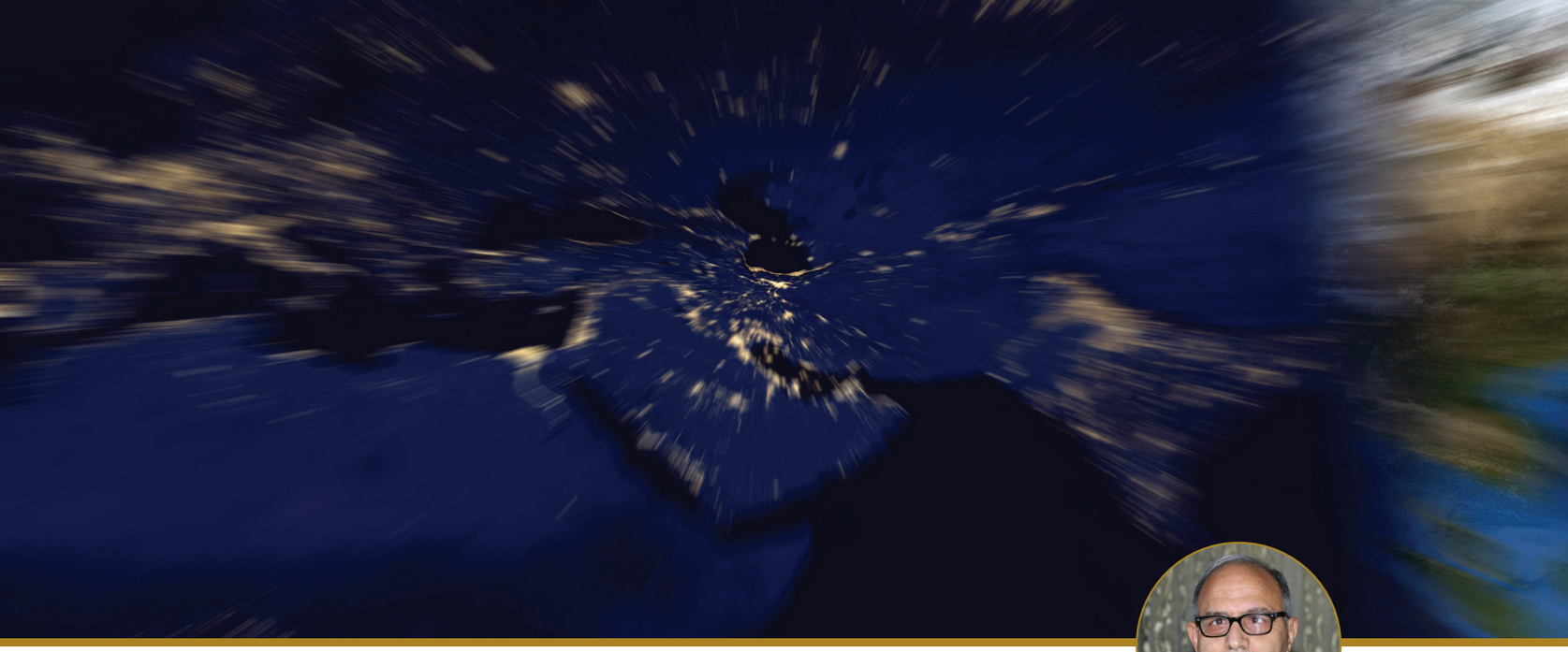

هل تريد إسرائيل تفتيت منطقة الشرق الأوسط؟!

د. هاني المصري

رئيس المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية - مسارات

من الصعوبة بمكان الحصول على وثائق أو تصريحات رسمية بخصوص سعي إسرائيل نحو تفكيك منطقة الشرق الأوسط، فما يتم إنتاجه حول الموضوع يصدر عن مراكز الأبحاث بالأساس.

ومع ذلك فإن لهذه الدراسات أهمية بالغة، حيث يعدها مسؤولون سابقون في الحكومة الإسرائيلية، كما ترتبط أغلب مراكز الأبحاث في إسرائيل بعلاقة وثيقة مع صانعي القرار في الحكومة والجيش والأجهزة الأمنية.

وعلى الرغم من رفض نظرية المؤامرة بصورة عامة، فإن التاريخ مليء بالمؤامرات، ولكن لا يمكن تلخيصه فيها فقط. فهناك عوامل أخرى تؤثر في الأحداث وتتفوق في كثير من الأحيان على المؤامرات، مثل إرادة الشعوب والتي بسببها حدثت الثورات على مدار التاريخ.

أولاً: محطات تآمرية إسرائيلية

من المهم التأكيد أن إسرائيل ليست مجرد دولة أقيمت على حساب الشعب الفلسطيني، بل هي تجسيد للمشروع الذي دعت إليه الحركة الصهيونية العالمية منذ تأسيسها، والتي هدفت إلى تحقيق أهداف استعمارية، بدعم من دول كبرى تستهدف ضمان استمرار السيطرة والهيمنة على المنطقة، وإبقائها أسيرة الفقر والتبعية والتشرذم، بحيث تكون إسرائيل امتداداً مضموناً لها وتلعب دور الشرطي، الذي يقوم بتأديب أي دولة تهدد نظام السيطرة الاستعمارية. ثم حدثت تغييرات على العلاقات الإمبريالية مع الحركة الصهيونية إذ كانت بريطانيا وفرنسا هما الدولتان الداعمتان لها، ثم أصبحت الولايات المتحدة هي الداعم فيما بعد.

ومع انهيار الاتحاد السوفييتي ومنظومته الاشتراكية حدث تحول واضح في مدى قدرة إسرائيل على النهوض بدورها، فبدلاً من قيامها بدور القاعدة المتقدمة لحماية المصالح الإمبريالية في المنطقة، أصبحت بحاجة للحماية، وهو ما اتضح من خلال قدوم القوات الأميركية لحمايتها، في صورة الحملة العسكرية الأمريكية ضد العراق ثم احتلاله، وكان من أهم أهداف هذه الحملة الرئيسية (حماية تدفق النفط وإسرائيل)، وذلك وفقاً لأنطوني زيني، كبير الجنرالات الأميركيين حينها.

ما قامت به إسرائيل منذ تأسيسها يدلّ على التدخلات الدائمة من أجل التأثير على ما يجري في المنطقة، فقد شاركت في العدوان الثلاثي على مصر، وشنت عدوان يونيو عام 1967 ضد ثلاثة بلدان عربية، انتهت باحتلال بقية فلسطين والجولان وسيناء، وشنت حرباً ضد لبنان عام 1982، واستمرت في احتلال الأراضي اللبنانية حتى مايو 2000، كما قامت بقصف المفاعل النووي العراقي، ونفذت اغتيالات في العديد من العواصم العربية والأجنبية، كان آخرها عمر النايف في السفارة الفلسطينية في بلغاريا، على خلفية طلب سلطات الاحتلال من السلطات البلغارية تسليمه لها بذريعة أنه مدان منذ عشرات السنين بعملية فدائية، حيث استطاع بعد القبض عليه الهرب من السجن، وعاش في الخارج إلى أن تم اغتياله، حيث تشير أصابع الاتهام إلى عملاء الموساد الإسرائيلي.

ثانياً: كتابات إسرائيلية حول التفتيت

إذا نظرنا إلى خريطة التهديدات والمخاطر التي تضعها إسرائيل، خاصة في السنوات الأخيرة، نجد أنها راضية بصورة واضحة عن ما يجري في المنطقة، وتحديداً في سوريا والعراق. وبغض النظر عن مآل الصراع، فإن هذا يخرج هذين البلدين من دائرة تهديدات إسرائيل لفترة طويلة قادمة، كما جاء على لسان وزير الحرب الإسرائيلي موشيه يعلون في عدة مؤتمرات إسرائيلية وأجنبية عقدت مؤخراً.

كما لا تخفي الحكومة الإسرائيلية ورئيسها بنيامين نتنياهو السعادة الغامرة بتصدر الخطر النووي الإيراني، وخطر الصراع السني الشيعي، حالياً الأولويات في المنطقة، مما يتيح لإسرائيل بيئة استراتيجية جديدة تأمل أن تمكنها من توظيف الالتقاء بين إسرائيل وبين الدول العربية ضد "الخطر الإيراني" الذي "يهدد" الطرفين. ويبدو أن هناك تبايناً بين المؤسسة العسكرية والأمنية الإسرائيلية من جهة والحكومة اليمينية من جهة أخرى حول خريطة التهديدات، إذ قلل جادي أيزنكوت، رئيس أركان القوات المحتلة الإسرائيلية، من أهمية الخطر الإيراني، معتبراً أن عدم حل القضية الفلسطينية لايزال يتصدر المخاطر التي تهدد إسرائيل.

وحتى ندرك جذور الموقف الإسرائيلي لابد من العودة إلى الوراء، فقد أعدّ رؤوفين شيلواح، الذي ترأس جهاز المخابرات الإسرائيلي "الموساد" خلال الفترة (1949 - 1952)، دراسة جاء فيها: "إن المصلحة الإسرائيلية تتطلب العمل على تفتيت واختراق العالم العربي، خاصة مصر، والعراق، وسوريا، والسودان، ودوّل الخليج، أما دول المغرب العربي فإن المطلوب إقامة صداقة أمازيغية مع إسرائيل". وقد كُلّف شيلواح بمهمات أمنية في العراق، ومهمات دبلوماسية عبر تعيينه مستشاراً لوزير الخارجية الإسرائيلية، لذا فدراسته حول تفتيت الدول العربية لم تظهر صدفة، بل نتيجة خبرة مبنية على قناعة بأن وحدة العالم العربي تشكل خطراً مؤكداً على بقاء إسرائيل. وتستند دراسة شيلواح إلى النظرة الإسرائيلية السائدة للعالم العربي ليس باعتباره منطقة تجمعها روابط عميقة متعددة ومتنوعة، وإنما بصورة مختلفة تتناسب مع حاجة ومصلحة إسرائيل.

النظرة الإسرائيلية نحو تفتيت الدول العربية يعكسها أيضا كتاب "إسرائيل وحركة تحرير جنوب السودان" الصادر عام 2003، عن مركز "دايان لأبحاث الشرق الأوسط وأفريقيا" التابع لجامعة تل أبيب وألفه العميد المتقاعد موشيه فرجي، وأكد فيه أن الاستراتيجية الإسرائيلية إزاء المنطقة العربية انطلقت من رفض انتمائها إلى وحدة ثقافية وحضارية واحدة، والتعامل معها باعتبارها خليطاً متنوعاً من الثقافات والتعدد اللغوي والديني والإثني، إذ اعتادت على تصويرها على أنها "فسيفساء تضم شبكة معقدة من أشكال التعدد اللغوي والديني والقومي ما بين عرب وفرس وأتراك وأرمن وأكراد وبهائيين ودروز ويهود وبروتستانت وكاثوليك وعلويين وصابئة وسنة وشيعة وموارنة وشركس وتركمان وأشوريين.

> تدعم العديد من الدراسات الإسرائيلية مخطط تفتيت الدول العربية، ومن أهمها دراسة الباحث الإسرائيلي البارز إسرائيل شاحاك، التي تؤكد على أن تفتيت العالم العربي له تاريخ يمتد لأكثر من ثلاثين عاما، وظلت الفكرة تتردد بصياغات مختلفة إلى أن نشرت صحيفة "نيويورك تايمز" في عام 2013 تحليلاً عرضت فيه سيناريو تحول 5 دول عربية إلى 14 دولة.

ويضيف فرجي أن المنطقة ما هي إلا مجموعة أقليات ولا يوجد فيها تاريخ موحد يجمعها، ومن ثم يصبح التاريخ الحقيقي لها هو تاريخ كل أقلية على حدة، والغاية من ذلك تحقيق هدفين، هما: رفض مفهوم القومية العربية والوحدة العربية، واعتبار القومية العربية في أدنى التصورات فكرة يحيطها الغموض وغير ذات موضوع. والهدف الثاني هو تبرير شرعية الوجود الإسرائيلي في المنطقة، إذ ما زالت تضم خليطاً من القوميات والشعوب التي لا سبيل لقيام وحدة بينها، فمن الطبيعي أن تكون لكل طائفة ومذهب ولكل قومية دولتها الخاصة، وهو أمر يضفي شرعية على وجود إسرائيل باعتبارها إحدى الدول القومية في المنطقة.

وليعطي مصداقية لموقفه، استشهد الكاتب بكتابات أبا إيبان (وزير خارجية إسرائيل الأسبق) في مؤلفه "صوت إسرائيل" الذي اعترض فيه على فكرة أن الشرق الأوسط يمثل وحدة ثقافية، وذكر أن العرب عاشوا دائماً في فرقة عن بعضهم، وأن فترات الوحدة القصيرة كانت تتم بقوة السلاح، ومن ثم فإن التجزئة السياسية لم يُحدثها الاستعمار، لأن الروابط الثقافية والتراث التي تجمع البلاد العربية لا يمكن أن تضع الأساس للوحدة السياسية والتنظيمية.

الخلاصة

هناك العديد من الدراسات الإسرائيلية شديدة الأهمية، إذ تدعم بما لا يدع مجالاً للشك عمق مخطط تفتيت الدول العربية، بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه هناك دراسة الباحث الإسرائيلي البارز إسرائيل شاحاك، وفيها "إن تفتيت العالم العربي له تاريخ يمتد لأكثر من ثلاثين عاماً"، فقد رصد المخططات الإسرائيلية التي تناولت هذا الموضوع منذ عام 1982، فأشار إلى دراسة عوديد بينون حول تفكيك العالم العربي، ونشرتها مجلة "كيفونيم" التي تصدرها المنظمة الصهيونية العالمية في شهر فبراير 1982، وظلت الفكرة تتردد بصياغات مختلفة في العديد من الدراسات إلى أن نشرت صحيفة "نيويورك تايمز" في عام 2013 تحليلاً عرضت فيه سيناريو تحول 5 دول عربية إلى 14 دولة.

ويخلص شاحاك إلى أن مخططات التقسيم يتبناها ويروج لها اليمين الإسرائيلي والأميركي، وأن تفتيت العالم العربي يمكن أن يتم بفعل عوامل داخلية نابعة من هشاشة المجتمعات العربية، وليس من خلال التدخلات الأجنبية، وأن انفراط عقد العالم العربي ليس سببه "الربيع العربي" كما يروج البعض، لأنه كان ثورة من جانب الشعوب العربية على تدهور الأوضاع في بلادها.